بحوث

في التفسير وعلوم القرآن

وَرَثَةُ الفِرْدَوْسِ

دكتــور
المحمــدى عبــد الرحمــن
أستاذ التفسير المســاعد
بقســم أصــول الدين
(تفســـير)
بكليــة الدراسات الإسلامية والعربية
(بنــين)

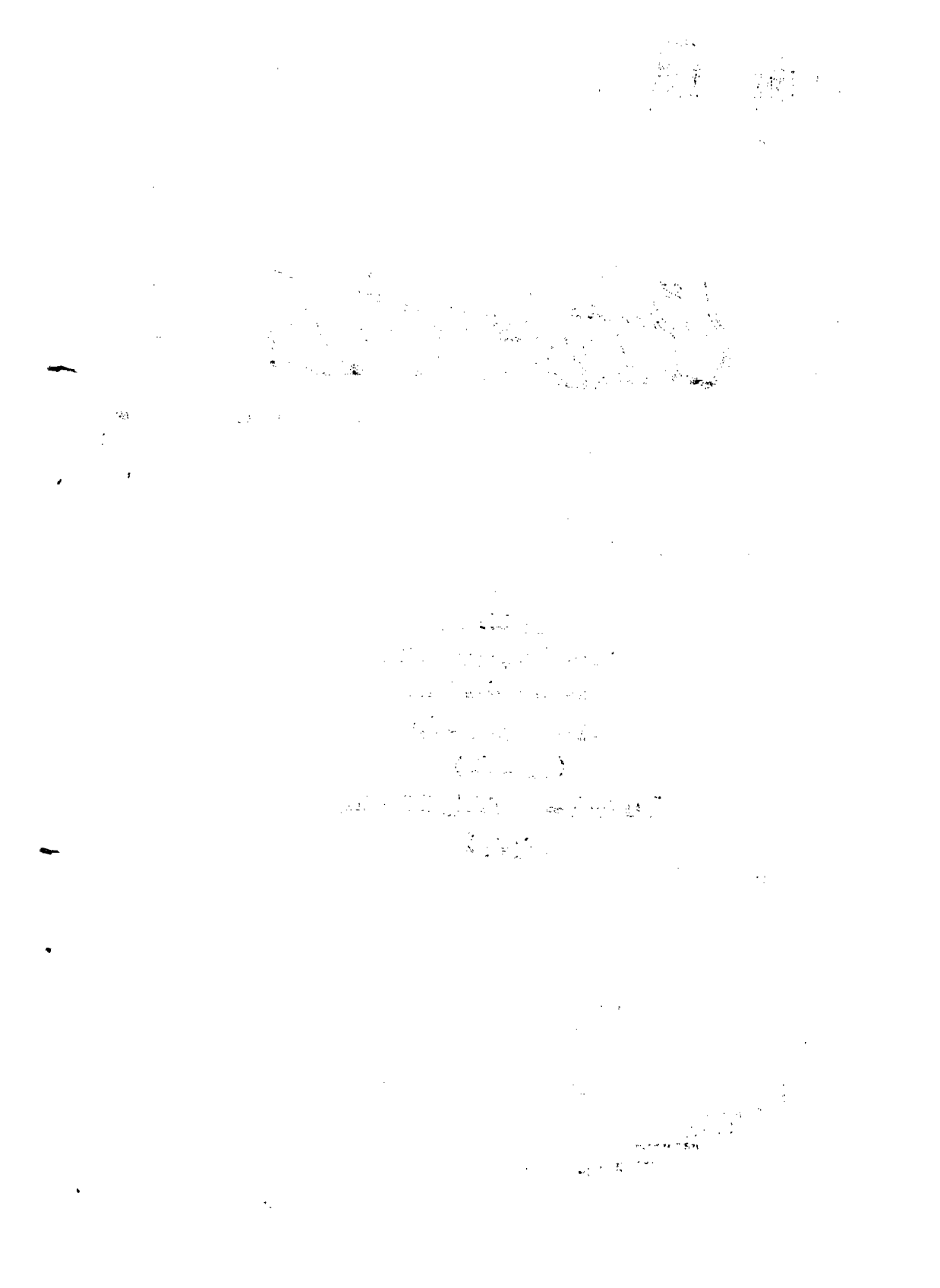

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ،،، أما بعد

فسورة (المؤمنون) إحدى سور القرآن الكريم المكية ، ولها من اسمها أكبر نصيب فهى تتحد ثعن الإيمان والمؤمنين وموقف الرسل من المكذبين ٠

وترتيبها فى المصحف بعد سورة الحج ، وعدد آياتها ثمانى عشرة ومائة ٠

ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهر ، لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله : « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** »(١) ٠

وذلك على سبيل الرجاء منهم فناسب ذلك قوله تعالى : (**قد أفلح المؤمنون**) إخبار بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح ٠ وفى بحثى فى سورة (المؤمنون) اقتصرت على إحدى عشرة آية من أولها تناولتها بالتفسير التحليلى والموضوعى تحت عنوان (ورثة الفردوس) سائلا العلى القدير أن يجعلنا من ورثة الفردوس ٠ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

دكتور
المحمدى عبد الرحمن
أستاذ التفسير المساعد
بقسم أصول الدين
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

---

(١) سورة الحج : آية ٧٢ ،

تمهيد

قال تعالى : « **قد أفلح المؤمنون (١) الذين هم فى صلاتهم خاشعون (٢) والذين هم عن اللغو معرضون (٣) والذين هم للزكاة فاعلون (٤) والذين هم لفروجهم حافظون (٥) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين (٦) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٧) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٨) والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) أولئك هم الوارثون (١٠) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (١١)** » .

روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن عبد القارى قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل ، فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ، فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا ، ثم قال : لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ علينا (**قد أفلح المؤمنون**) حتى ختم العشر (١) ، والمراد بالمؤمنين هم المؤمنون الحقيقيون الذين يطابق سلوكهم حقيقة الايمان . فالإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علما ، والتصديق به عقدا ، والإقرار به نطقا ، والانقياد له محبة وخضوعا ، والعمل به باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ، وكماله فى الحب فى الله والبغض فى الله . والعطاء لله والمنع لله ، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده ، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهرا وباطنا ، وتغميض عين القلب من الالتفات إلى سوى الله ورسوله .

---

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل ١٢٤/١ ، ط مكتبة التراث الإسلامي .

هؤلاء المؤمنون الذين ترجموا إيمانهم إلى سلوك عملى وصفتهم الآيات القرآنية بأنهم عن اللغو معرضون ، وللزكاة فاعلون ، ولفروجهم حافظون باستثناء الزوجات والاماء ، وللأمانات والعهود راعون ، وعلى الصلوات محافظون . هؤلاء كان جزاؤهم بسبب أعمالهم كما أخبر القرآن **(أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)** فالمؤمنون يرثون منازل الكفار من الجنة ، لأن المؤمنين والكفار خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة ، وترك الكفار ما أمروا به مما خلقوا له ، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل . عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول : هذا فكاكك من النار(٢) ، وعن عمر ابن عبد العزيز عن أبيه أن النبى ﷺ قال : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا قال فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ قال فحلف له قال فلم يحدثنى سعيد أنه استحلفه ولم ينكر على عون قوله(٣) . وجنة الفردوس ورثها المؤمنون بسب أعمالهم . قال تعالى : « **وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون** »(٤) ولا تعارض بين الآية وبين الحديث الذى يفيد أنه لا يدخل أحد الجنة

---

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١٧ ، ص ٨٥ ـ باب : سعة رحمة الله على المؤمنين وفداء كل مسلم بكافر من النار .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١٧ ، ص ٨٦ ـ باب : سعة رحمة الله على المؤمنين وفداء كل مسلم بكافر من النار .

(٤) سورة الزخرف : آية ٧٢ .

بعمله فالباء فى الآية للسببية بخلاف الباء فى الحديث فإنها للعوض والمقابلة(٥) . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة(٦) .

١ ــ الخشـــوع

قال تعالى :

(قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

(قد) تفيد ثبوت أمر متوقع وتحققه وتاكيده . والفلاح أمر مستقبل أبرز فى معرض الماضى مؤكدا بقد دلالة على تحققه فيفيد تحقق البشارة وثباتها كانه قيل : قد تحقق أن المؤمنين من أهل الفلاح فى الآخرة . والفلح أصله فى اللغة : الشق والقطع ، والفلاح فى العرف : الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب(١) .

والمراد بالمؤمنين قيل : إما المصدقون بما علم من ضرورة أنه من دين نبينا ﷺ من التوحيد والنبوة والحشر الجسمانى والجزاء . فعلى ذلك يكون قوله تعالى : (**الذين هم فى صلاتهم خاشعون**) وما عطف عليه من صفات مخصصة لهم . وإما المراد بالمؤمنين الآتون بفروع الإيمان أيضا كما ينبىء عنه إضافة الصلاة إليهم فهى صفات موضحة أو مادحة لهم . وأنا أرى أن المؤمنين المقصودين فى الآية هم الجامعون بين التصديق القلبى والعمل بمقتضى هذا التصديق .

---

(٥) فتح البارى ١/٧٨ ـ كتاب الايمان .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ، حـ ١٧ ، ص ١٦٠ ـ باب : لن يدخل أحد الجنة بعمله .
(١) انظر : لسان العرب (فلح) .

(الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

الصلاة أصلها فى اللغة : الدعاء مأخوذة من صلى يصلى إذا دعا. قال الأعشى :

وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم

وقال قوم : هى مأخوذة من الصلا وهو عرق فى وسط الظهر ، ويفترق عند العجب فيكتنفه ، ومنه أخذ المصلى فى سبق الخيل ، لأنه يأتى فى الحلبة ورأسه عند صلوى السابق ، فاشتقت الصلاة منه إما لأنها جاءت ثانية للإيمان فشبهت بالمصلى من الخيل ، وإما لأن الراكع تثنى صلواه . وقيل : هى مأخوذة من اللزوم ومنه صلى بالنار إذا لزمها ، وكأن المعنى على هذا ملازمة العبادة على الحد الذى أمر الله تعالى به .

وقيل : هى مأخوذة من صليت العود بالنار إذا قويته بالصلاء ، فكأن المصلى يقوم نفسه بالمعاناة فيها ، ويلين ويخشع(٢) .

والصلاة فى الشرع : أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة . وقيل المراد بالصلاة فى الآية : الفرائض ، وقيل : الفرائض والنوافل معا ، والأخير هو الصحيح ، لأن اللفظ عام والمؤمن يأتى بهما .

(خاشعون) الخاشعون : جمع خاشع وهو المتواضع . والخشوع : هيئة فى النفس يظهر منها فى الجوارح سكون وتواضع . وأضيفت الصلاة إليهم فى قوله فى (صلاتهم) ، لأن الصلاة دائرة بين المصلى والمصلى له ، فالمصلى : هو المنتفع بها وحده وهى عدته وذخيرته فهى صلاته . وأما المصلى له فغنى متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها .

---

(٢) تفسير القرطبي ١٦٨/١ ، ١٦٩ .

وفى تقديم وصفهم بالخشوع فى الصلاة على سائر ما يذكر بعد ، ما لا يخفى من التنويه بشأن الخشوع .

فضيلة الخشوع :

إن الله سبحانه وتعالى مدح فى كتابه المخبتين له ، والمنكسرين لعظمته ، الخاضعين والخاشعين لها . قال الله تعالى : « **إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين** »(٣) وقال تعالى : (**والخاشعين والخاشعات**) إلى قوله : « **أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** »(٤) ، ووصف المؤمنين بالخشوع له فى أشرف عباداتهم التى عليها يحافظون ، فقال : « **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** »(٥) .

ووصف الذين أوتوا العلم بالخشوع حيث يكون كلامه مسموعا فقال : « **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** »(٦) .

وقد وصف الله فى كتابه الأرض بالخشوع ، فقال تعالى : « **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** »(٧) ، فاهتزازها وربوها ـ وهو ارتفاعها ـ مزيل لخشوعها ، فدل على أن الخشوع الذى كانت عليه هو سكونها وانخفاضها . فكذلك القلب إذا خشع ، فإنه تسكن خواطره ، وإراداته الرديئة التى تنشأ من

---

(٣) سورة الأنبياء : آية ٥ .
(٤) سورة الأحزاب : آية ٣٥ .
(٥) سورة المؤمنون : آية ١ ، ٢ .
(٦) سورة الاسراء : آية ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ .
(٧) فصلت : آية ٣٩ .

اتبـاع الهـوى وينكسر وينخضـع لله فيزول بذلك ما كان فيـه من التعاظم والترفع ، والتكبر ، ومتى سكن ذلك فى القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحـركات كلها ، ويغشى أرواحهم جـلال الله فى حضرته فتختفى من أذهانهم جميـع الشـواغل ، ولا تشتغل بسـواه ، وهم مستغرقون فى الشعورية مشغولون بنجواه . ويتوارى عن حسهم فى تلك الحضرة القدسية كل ما حـولهم وكل ما بهم فلا يشـهدون إلا الله ، ولا يحسون إلا إياه ، ولا يتذوقون إلا معنـاه ، ويتطهر وجدانهم من كل دنس . وينفضون عنهم كل شـائبة ، فما يضمون جوانحهم على شىء من هذا مع جلال الله ... عندئذ تتصـل الذرة التائهة بمصـدرها ، وتجد الروح الحائرة طريقها ، ويعـرف القلب الموحش مثـواه ، وعندئذ تتضـاءل القيم والأشـخاص إلا ما يتصـل منها بالله .

الفـرق بين خشوع النفاق وخشوع الإيمان :

الفـرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفـاق : أن خشوع الإيمـان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقـار والمهـابة والحياء فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجـل والحب والحيـاء وشهود نعم الله فيخشـع القلب لا محالة فيتبعـه خشوع الجوارح . وقد جاء فى السنة الصحيحة ما يشهد بقـرب الله من القلب المنكسر ببلائه ، الصـابر على قضـائه ، والراضى بذلك كما فى صحيح مسلم عن أبى هـريرة رضى الله عنـه عن النبى ﷺ يقول الله عـز وجل يوم القيـامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعـدنى ، قال : رب كيف أعودك وأنت رب العـالمين ؟ قال : أما علمت أن عبـدى فـلانا مـرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عـدته لوجـدتنى عنده . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ، قال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمتـه لوجدت ذلك عنـدى . يا ابن آدم : استسقيتك

فلم تسقنى ، قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العـالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فـلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندى(٨) ٠ وأضـاف الله المـرض إليه سبحانه ٠ والمـراد العبد تشريفا للعبد وتقـريبا له ومعنى (وجدتنى عنده) أى وجدت ثوابى وكـرامتى ٠ والعلم النافع : هو ما باشر القلوب فأوجب لها السكينة والخشية والإخبـات لله والتواضع والانكسـار وإذا لم يباشر القلب ذلك العـلم ، وإنما كان على اللسـان فهو حجـة الله على ابن آدم يقوم على صاحبه وعلى غيره ٠ ولهذا المعنى وصف الله سبحناه فى كتابه العلمـاء بالخشية كما قـال تعـالى : « **إنمـا يخشى الله من عبـاده العلمـاء** »(٩) ٠ وقال : « **أمن هـو قـانت آنـاء الليـل سـاجدا وقـائما يحـذر الآخـرة ويرجـو رحمـة ربه قـل هـل يستوى الذين يعمـلون والذين لا يعمـلون** »(١٠) ٠ ووصف العلماء من أهـل الكتاب قبلنـا بالخشـوع ، قال تعـالى : « **إن الذين أوتوا العـلم من قبـله إذا يتـلى عليهم يخـرون للأذقـان سـجدا ويقولون سـبحان ربنـا إن كان وعـد ربنـا لمفعولا ويخـرون للأذقـان يبكون ويزيـدهم خشـوعا** »(١١) ٠ وقد كان النبى ﷺ يستعيذ من قلب لا يخشـع ، عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ كان يقول : « اللهم إنى أعـوذ بك من عـلم لا ينفـع ، ومـن قلب لا يخشـع ، ومن نفس لا تشـبع ، ومن دعـوة لا يستجاب لهـا »(١٢) ٠

---

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى : ١٢٦/١٦ ٠
(٩) سـورة فاطـر : آية ٢٨ ٠
(١٠) سـورة الزمـر : آية ٩ ٠
(١١) سـورة الاسـراء : آيات : ١٠٨ ، ١٠٩ ٠
(١٢) صحيح مسلم : ٢٠٨٨/٤ ٠

وأما خشوع النفاق : فيبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا ، والقلب غير خاشع .

الخشوع فى الصلاة :

شرع الله لعباده من أنواع العبادات ما يظهر فيه خشوع الأبدان الناشىء عن خشوع القلب وذله وانكساره ومن أعظم ما يظهر فيه ذلك من العبادات الصلاة ، وقد مدح الله تعالى الخاشعين فيها بقوله : **« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون »**(١٣) والخشوع محله القلب فإذا خشع القلب خشعت سائر الجوارح . قال رسول الله ﷺ : « ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب »(١٤) . وكان الرجل من العلماء إذا أقام الصلاة وقام إليها يهاب الرحمن أن يمد بصره إلى شىء وأن يحدث نفسه بشىء من الدنيا . عن عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين ، يقبل بقلبه ووجهه عليها إلا وجبت له الجنة »(١٥) ، وقال عطاء : الخشوع فى الصلاة : هو ألا يعبث بشىء من جسده فى الصلاة . وكذلك هو ألا يعبث بثوبه وغطاء رأسه وغير ذلك مما يفعله بعض الناس . ورأى بعض السلف رجلا يعبث بيده فى الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله : **(الذين هم فى صلاتهم خاشعون)** ، قال : هو الخشوع فى القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم ، وألا تلتفت فى صلاتك .

قال أبو ذر : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الله عز وجل مقبلا

---

(١٣) سورة المؤمنون : آية ١ ، ٢ .
(١٤) خرجه البخارى ١/٢٠ ، ومسلم ٣/١٢٢٠ .
(١٥) سنن أبى داود ١/٢٣٨ ج ٩٠٦ - باب : كراهية الوسوسة وحديث

على العبد وهو فى صلاته ما لم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه »(١٦) عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ عن التفات الرجل فى الصلاة فقال : « إنما هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد »(١٧) .

واختلف الناس فى الخشوع ، هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها على قولين والصحيح الأول(١٨) .

٢ ـ أدب الحديث

قال تعالى : (**والذين هم عن اللغو معرضون**) . اللغو : مصدر لغا يلغو ، ويلغى ، ولغى يلغى لغاً . وهو كل كلام ساقط لا خير فيه ـ يعنى أن المؤمنين الصادقين من الجد ما يشغلهم عن الهزل. ولما وصف القرآن المؤمنين الصادقين بالخشوع فى الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس الذين هما قاعدتا بناء التكاليف . والتعبير بقوله (معرضون) دال على الثبات والدوام . والمقصود تركهم للغو وعدم التفاتهم إليه وإقامة الإعراض مقام الترك يدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فإن أصله أن يكون فى عرض أى ناحية غير عرضه .

لقد عنى الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام ، لأن الكلام الصادر عن إنسان ما يشير إلى حقيقة عقله وطبيعة خلقه ، ولأن طرائق الحديث فى جماعة ما تحكم على مستواها العام ، ومدى تغلغل الفضيلة فى بيئتها .

---

(١٦) سنن أبى داود ٢٣٩/١ ، ح ٩٠٩ ـ باب الالتفات فى الصلاة .
(١٧) سنن أبى داود ٢٣٩/١ ، ح ٩١٠ ـ باب الالتفات فى الصلاة .
(١٨) تفسير القرطبى ١٠٤/١٢ .

الـكلام والصـمت :

الإعـراض عن اللغو من صفات المؤمنين الحقيقيين ، قال تعـالى فى وصف عبـاد الرحمن : « **وإذا مـروا باللغـو مـروا كـراما** »(١) ، والقلوب المؤمنة لا تلغو ذلك اللغو ، ولا تستمع إلى ذلك الهـذر ، ولا تعنى بهـذا البذاء فهى مشغولة بتكاليف الإيمـان ، مرتفعـة بأشواقه ، متطهرة بنـوره . قال تعـالى : « **وإذا سـمعوا اللغـو أعرضـوا عنـه** »(٢) ، ولقد حـدد القـرآن الكريم أنواع النجـوى التى يحبها الله وهى التناجى فى فعـل الخيـر . والمعـروف والإصـلاح بين النـاس . قال تعـالى : « **لا خيـر فى كثيـر من نجـواهم إلا من أمـر بصـدقة أو معـروف أو إصـلاح بين النـاس** »(٣) وذلك أن يجتمع الرجـل الخير بالرجل الخير فيقول له : هلم نتصدق على فـلان فقد علمت حاجته فى خفية عن الأعين . أو هلم إلى معـروف معين نفعـله أو نحض عليـه . أو هلم نصلح بين فـلان وفـلان فقد علمت أن بينهما نزاعـا . وخطاب الناس بالحسنى ميثـاق أخذه الله على بنى اسرائيل فى ظـل الجبـل . قـال تعـالى : « **وقـولوا للنـاس حسـنا** »(٤) ، والكلام الطيب العف يجمل مع الأصدقاء والأعـداء جميعـا ، وله ثمـاره الحلوة . فأما مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم ، ويستديم صداقتهم ، ويمنع كيد الشيطان أن يوهى حبـالهم ويفسد ذات بينهم . قال تعـالى : « **وقـل لعبـادى يقولون التى هى أحسن**

---

(١) سـورة الفـرقان : آية ٧٢ .
(٢) سـورة القصص : اية ٥٥ .
(٣) سـورة النسـاء آية : ١١٤ .
(٤) سـورة البقـرة آية : ٨٣ .

إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا »(٥) إن الشيطان متربص بالبشر يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء وأن يجعل من النزاع التافه عراكا دامياً ، ولن يسد الطريق أمامه إلا القول الجميل . وحسن الكلام مع الأعداء يطفىء خصومتهم ، ويكسر حدتهم أو هو على الأقل يوقف تطور الشر واستطارة شرره . قال تعالى : **« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة أدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »**(٦) والقرآن يرى الحرمان مع القول الحسن أفضل من العطاء مع البذاءة . قال تعالى : **« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم »(٧)** وقد أمر الله عز وجل بأن يكون حجاجنا مع أصحاب الأديان الأخرى فى هذا النطاق الهادىء الكريم ، لاعتق فيه ولا نكر إلا أن يجور علينا أمرؤ أثيم ، فيجب كبح جماحه ، ومنع اعتدائه . قال تعالى : **« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم »**(٨) . وعظماء الرجال يلتزمون فى أحوالهم جميعا ألا تبدر منهم لفظة نابية ، ويتحرجون مع صنوف الخلق أن يكونوا سفهاء أو متطاولين .

روى مالك أنه بلغه عن يحيى بن سعيد أن عيسى عليه السلام مر بخنزير على الطريق ، فقال له : انفذ بسلام ، فقيل له تقول هذا لخنزير ؟ فقال إنى أخاف أن أعود لسانى النطق بالسوء(٧) . ولم يرخص القرآن فى الجهر بالسوء إلا فى حال الظلم . قال تعالى :

---

(٥) سورة الاسرءا آية : ٥٣ .
(٦) سورة فصلت : آية ٣٤ .
(٧) سورة البقرة آية : ٢٦٣ .
(٨) سورة العنكبوت آية : ٤٦ .
(٩) الموطأ : للامام مالك ـ كتاب الكلام ـ باب ما يؤمر من الكلام .

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم »(١٠) ، وهكذا نجد القرآن الكريم قد وضع النقط فوق الحروف فى موضوع الكلام . وحذر الإنسان من الكلام الغير مباح حيث إن كل كلمة مكتوبة عليه . قال تعالى : **« ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »**(١١) . وجاءت السنة النبوية الشريفة تؤكد ذلك المعنى . عن بلال بن الحارث المزنى أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله . ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت . يكتب الله له بها رضوانا إلى يوم يلقاه . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت . يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه »(١٢) .

وحدث مالك أنه بلغه : أن عيسى بن مريم كان يقول : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم . فإن القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون . ولا تنظروا فى ذنوب الناس كأنكم أرباب . وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس مبتلى ومعافى . فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية(١٣) .

وعن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة . ما بين لحييه وما بين رجليه . ما بين لحييه وما بين رجليه . ما بين لحييه وما بين رجليه(١٤) . وليس من اللغو التفريج عن النفس بشىء من اللعب العفيف المفيد للعقل والجسم .

---

(١٠) النساء آية : ١٤٨ .
(١١) ق آية : ١٨ .
(١٢) أخرجه البخارى فى : ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٢٣ ، باب حفظ اللسان ، ومسلم فى : ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقاق ، ٦ ـ باب التكلم بالكلمة يهوى بها فى النار ، ج ٤٩، ٥٠ .
(١٣) أخرجه مسلم فى : ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ، ٢٠ ـ باب تحريم الغيبة ، ج ٧٠ .
(١٤) رواه البخارى موصولا عن سهل بن سعد فى : ٨١ ـ كتاب الرقاق ٢٣ ـ باب حفظ اللسان .

٣ ــ الجــود والكــرم

قال تعــالى : (**والذين هم للــزكاة فاعــلون**) ٠

الزكاة مأخوذة من زكا الشيء إذا نما وزاد ٠ يقال : زكا الزرع والمــال يزكو : إذا كثر وزاد ٠ وقيــل : أصلها الثنــاء الجميــل ، ومنه زكى القاضى الشــاهد ٠ فكأن من يخــرج الزكاة يحصــل لنفســه الثنــاء الجميــل ٠ وقيــل الزكاة مأخوذة من التطهير كما يقال زكا فلان أى طهــر ٠ والزكاة إن أريد بها التزكية صح نسبة الفعــل إليهــا إذ كل ما يصــدر يصح أن يقال فيــه فعــل ٠ وإن أريد بالــزكاة قدر ما يخــرج من المــال للفقير فيكون على حذف أى لأداء الزكاة فاعــلون إذ لا يصح فعــل الأعيــان من المزكى أو يضمن فاعلون معنى مؤدون(١) فلفظ الزكاة يتســع حتى يشــمل كل فعــل محمود ٠ ومنــه قوله تعــالى : (**قد أفلح من تزكى**) الأعلى آية : ١٤ ٠ وقوله تعــالى : (**قد أفلح من زكاها**) الشمس آية : ٩ ٠ ومن هنــا نلحظ دقة التعبير (فاعلون) ولم يقل مؤدون ولو قال مؤدون لكان المقصود منها حينما لايكون لك مال أد الزكاة إنما قوله فاعلون غير هذا كان حركتك فى الحياة ينبغى أن تكون نيتك فيها أن تكسب وتعول من تعول ومن لا يقدر على العمل تعطيه من فضل الله ٠ بجانب أدائك للزكاة إن بلغ مالك النصاب وحال عليه الحول ٠ واخراج زكاة المال من جملة الأفعال المحمودة وإنما سميت زكاة ، لأنها تطهــر من الذنوب لقوله تعالى : (**تطهــرهم وتزكيهم بهــا**) التــوبة آية : ١٠٣ ٠ وســورة (المؤمنون) وإن كانت مكية ٠ والزكاة لم تفــرض إلا بالمدينــة فى السنة الثــانية من الهجــرة فالظاهر أن التى فرضت بالمدينة إنما هى ذات النصب والمقادير الخاصة ٠ وأن أصــل الزكاة كان واجبــا بمكة ، قال تعــالى : **وآتــوا حقــه يوم حصــاده**) الأنعــام آية : ١٤١ ٠

---

(١) تفسير القرطبى ٣٤٣/١ ، البحر المحيط ٣٩٦/٦ ٠

وهى الركن الثالث :

لقد ورد الأمر فى القرآن الكريم بإيتاء الزكاة . قال تعالى : « **وآتوا الزكاة** »(٢) ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ بعث معاذ رضى الله عنه إلى اليمن فقال : ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم(٣) وتوعد القرآن الكريم من امتنع عن أداء الزكاة قال تعالى : « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** » (٤) .

بين المتصدق والبخيل :

الذى يعطى من فضل الله ويتقى ربه ويصدق بالحسنى يكون قد بذل أقصى ما فى وسعه ليزكى نفسه ويهديها ، عندئذ يستحق عون الله وتوفيقه . والذى يبخل بنفسه وماله ويستغنى عن ربه وهداه ويكذب بدعوته ودينه ... يبلغ أقصى ما يبلغه الإنسان بنفسه من تعريضها للفساد . ويستحق أن يعسر الله عليه كل شىء .

قال تعالى : « **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى . . . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره**

---

(٢) البقرة : آية ٤٣، ٨٣، ١١٠ ، النساء آية : ٧٢ .
(٣) عمدة القارى ٨/٢٣٤ ، ج رقم ١٥٠ ـ باب وجوب الزكاة .
(٤) سورة التوبة : آية ٣٤، ٣٥ .

للعسرى • وما يغنى عنه ماله إذا تردى »(٥) • والجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه فتوسعت فى الإنفاق ، والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه • قال تعالى : « **ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** »(٦) • وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت ، أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه • وتعفو أثره • وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها »(٧) • وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا(٨) • وقال تعالى : « **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء** »(٩) ولقد مدح الله المحسنين الذين يتصدقون حيث أعطوا للسائل والمحروم حقهما : « **وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** »(١٠) •

٤ ـــ حفظ الفروج عن الحرام

قال تعالى :

« **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت**

---

(٥) سورة الليل آية : ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١ •
(٦) سورة الحشر آية : ٩ •
(٧) فتح البارى ٣/٣٠٥ ، ج رقم ١٤٤٣ •
(٨) فتح البارى ٣/٣٠٤ ، ح رقم ١٤٢٢ •
(٩) سورة البقرة : آية ٢٦١ •
(١٠) سورة الذاريات آية : ١٩ •

أيمانهم فإنهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادن » • الفرج : يطلق على فرج الرجل والمرأة • ومعنى حفظهم لها أنهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم فى جميع الأحوال إلا فى حال تزوجهم أو تسريهم • والمراد هنا الرجال خاصة دون النساء بدليل قوله : **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم)** للإجماع على أنه لا يحل للمرأة أن يطأها من تملكه(١) وحفظ الفرج عدى بـ (على) ، لأن على هنا بمعنى عن أو أنه متعلق بمحذوف تقديره : فلا يرسلونها إلا على أزواجهم •

وجملة **(أو ما ملكت أيمانهم)** فى محل جر عطفا على أزواجهم وما مصدرية ، والمراد بذلك الإماء ، وعبر عنهن بما التى هى لغير العقلاء ، لأنه اجتمع فيهن الأنوثة المنبئة عن قصور العقل وجملة **(فإنهم غير ملومين)** تعليل لما تقدم مما لا يجب عليهن حفظ فروجهن منه **(فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)** الإشارة إلى الزوجات وملك اليمين • ومعنى (العادون) : المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم فسمى سبحانه من نكح ما لا يحل له عاديا • ووراء هنا بمعنى سوى وهو مفعول ابتغى •

وقد دلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة ، لأن المتمتع بها لا تجرى مجرى الزوجات لا ترث ، ولا تورث ، ولا يلحق به ولدها ، ولا يخرج من نكاحها بطلاق يستانف لها ، وإنما يخرج بانقضاء المدة التى عقدت فيها وصارت كالمستأجرة • وإذا ثبت أنها ليست بزوجة له وجب ألا تحل له ، لأنها ليست أمه له كذلك ، والآية حصرت الحل فى الزوجة والأمه • وكذلك استدل بالآية على تحريم الاستمناء • لأنه مما وراء ذلك وأحمد بن حنبل على ورعه يجوزه

---

(١) فتح القدير ٣/٤٧٤ •

ويحتج بانه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة والرأى الأول أولى . قال بعض العلماء : إنه كالفاعل بنفسه . وهى معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قيلة ويا ليتها لم تقل . ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها(٢) ويحرم أيضا كل انحراف بالفروج عما أحله الله مثل الزنا ، واللواط وإتيان البهائم ، وتحرم أيضا المساحقة وهى استمتاع الأنثى بانثى مثلها . ومن الآية يتبين بكل وضوح أن القرآن حدد المواضع النظيفة التى يحل للرجل أن يودعها بذور الحياة . الزوجة ، وملك اليمين . والجدير بالذكر أن الاسترقاق كان فى الحرب ضرورة وقتية ، هى ضرورة المعاملة بالمثل فى عالم كله يسترق الأسرى ، ولم يكن جزءا من النظام الاجتماعى فى الإسلام .

التحرج من الزنا من صفات المؤمنين :

التحرج من الزنا هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة التى يشعر فيها الإنسان بارتفاعه عن الحس الحيوانى الغليظ ، ويحس بأن لالتقائه بالجنس الآخر هدفا أسمى من إرواء سعار اللحم والدم ، والحياة الهابطة الغليظة التى لا هم للذكران والإناث فيها إلا إرضاء ذلك السعار .

قال تعالى فى وصف عباد الرحمن : « **ولا يزنون** »(٣) . ولقد أمر القرآن الذين لا يجدون مؤنة النكاح بالعفة حتى يعطيهم الله من فضله قال تعالى : « **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله** »(٤) والزنا يجلب على المجتمع أضرارا وويلات كثيرة من هذه

---

(٢) تفسير القرطبى ١٠٦/١٢ .
(٣) سورة الفرقان : آية ٦٨ .
(٤) سورة النور آية : ٣٣ .

الأضرار بالمجتمع انتهاك العرض والشرف ، وهذان لا يعدلهما شيء ويضحى الإنسان فى سبيلهما بالغالى والنفيس . وأيضا اختلاط الأنساب وهذا مهم ، لأن الولد من الزنا يختلط نسبه فينتج عن ذلك أضرار ومشاكل لا حد لها ولا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى . وهناك أمراض صحية تنتقل بالمعاشرة الجنسية وهى كثيرة وبعضها خطير . وصدق الله إذ يقول : « **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** »(٥) .

ومن هنا نفهم السر فى تشديد العقوبة على الزانى حيث فرض الحد على الزانى غير المحصن بالجلد مائة جلدة ، والزانى المحصن بالرجم بالحجارة حتى يموت . قال تعالى : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهم رافة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** »(٦) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أتى رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ وهو فى المسجد فناداه فقال : يا رسول الله إنى زنيت فأعرض عنه حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله ﷺ فقال أبك جنون ؟ قال لا . قال فهل أحصنت قال نعم . فقال رسول الله ﷺ : « اذهبوا به فارجموه »(٧) .

* * *

---

(٥) سورة الاسراء آية : ٣٢ .
(٦) سورة النور آية : ٢ .
(٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١١/١٩٣ ـ حد الزنا .

٥ ـــ الأمـانة والوفـاء بالعهـود

قال تعالى : (**والذين هم لأمـاناتهم وعهـدهم راعـون**) ٠

قـرأ المـكى (أمانتهم) بغـير ألف بعد النـون على الإفـراد ، والباقون بالألف على الجمـع(١) ٠ والمـراد بالأمانات : ما ائتمنهم الله عليـه من الأعضـاء والقـوى ، وما ائتمنهم النـاس عليه من الأموال ، والأسرار وغير ذلك ٠ والمـراد برعيها : حفظها عن التصرف بها على خلاف أمـره عـز وجل ٠ والعهد : ما يعـاهدون عليـه من جهـة الله سـبحانه أو جهـة عبـاده والمـراد برعيـه : حفظه عن الإخـلال به وذلك بفعـله على أكمل وجه وقد جمـع العهد والأمـانة كل ما يتحمله الإنسـان من أمر الدين والدنيـا ٠ والأمـانة أعم من العهد ، فكل عهد أمـانة ، فالأمـانة فى الإسـلام واسعة الدلالة وهى تشمل جوانب حياتنا كلها وتلازمنا فى علاقتنا بأنفسنا ، وعلاقتنا بخالقنا ، وعلاقتنا بأسرتنا ، وبالمجتمع الذى نعيش فيـه ، ومناطها جميعـا شعور المـرء بتبعتـه فى كل أمـر يوكل إليـه ، وإدراكه بأنه مسـئول عنـه أمام ربه ٠ قال تعـالى : « **يا أيهـا الذين آمنـوا لا تخـونوا الله والرسـول وتخـونوا أمـاناتكم وأنتـم تعلمـون** »(٢) ٠ وكل ما وهبنا الله من نعم أمـانة بأيدينا فلا ينبغى أن نفـرط فيها فحواسنا التى أنعم الله بها علينـا أمـانة ٠ قـال تعـالى : « **إن السـمع والبصر والفـؤاد كل أولئـك كان عنـه مسـئولا** »(٣) فالأمـانة متعددة ـ المواهب أمـانة ، الأولاد أمـانة ، المـال أمـانة ، المواهب التى يخص الله بها المجدين العـاملين أمـانة ، ومن هنـا نفهم سر

---

(١) انظر : البذور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ، ص ٢١٧ ـ ويعنى بالمـكى ابن كثير ٠
(٢) سـورة الأنفـال آية : ٢٧ ٠
(٣) سـورة الاسـراء آية : ٣٦ ٠

إتيانها جميعا فى قوله تعالى : « **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** »(٤) وقوله تعالى : « **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** »(٥) ، والتكاليف أمانة . قال تعالى : « **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال** »(٦) . ولقد أخبر الرسول ﷺ أن الأمانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة . عن حذيفة قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة ، قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منبترا وليس فيه شىء ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال : إن فى بنى فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل : ما أجلده ما أظرفه ما أعقله ، وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت . لئن كان مسلما ليرده على دينه . ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه . وأما اليوم كنت لأبايع منكم إلا فلانا وفلانا(٧) .

والمسلم إذا أبرم عقدا يجب أن يحترمه ، وإذا أعطى عهدا يجب أن يلتزمه . قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** »(٨)

---

(٤) سورة النساء آية : ٥٨ .
(٥) سورة المؤمنون آية : ٨ ، والمعارج آية : ٣٢ .
(٦) سورة الأحزاب آية : ٧٢ .
(٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٧/٢ - باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب .
(٨) سورة المائدة آية : ١ .

وإن من أعظم العقود وأجدرها بالوفاء ذلكم العهد الذى أخذه الله على بنى آدم وهو فى عالم الذر . قال تعالى : « **وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** »(٩) . والإسلام دين يحرص على جمع الكلمة فأوجب على الأمة الوفاء بالعهود . عن أبى حازم قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبى ﷺ قال : كانت بنو اسرائيل تسومهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وإنه لا نبى بعدى وستكون خلفاء فتكثروا قالوا : فما تأمرنا . قال : فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم(١٠) . ولقد استحق المؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه أن يمدحهم القرآن ويثنى عليهم . قال تعالى : « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** »(١١) .

* * *

(٩) سورة الأعراف آية : ١٧٢ .
(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣١/١٢ ـ وجوب الوفاء ببيعة الخليفة ـ (فوا) الأمر من وفى مسندا إلى واو الجماعة .
(١١) سورة الأحزاب آية : ٢٣ .

٦ ـــ الصلوات الخمس والمحافظة عليها

قال تعالى : (**والذين هم على صلواتهم يحافظون**) .

(**على صلواتهم**) : قرأ الأخوان وخلف بغير واو بعد اللام على التوحيد وغيرهم بواو بعدها على الجمع وغلظ ورش اللام(١) من قرأ بالإفراد فقد أراد اسم الجنس وهو فى معنى الجمع(٢) وليس ذلك تكرارا للصلاة فوصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم ، وآخرا بالمحافظة عليها ووحدت أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت ، وجمعت آخرا لتفيد المحافظة على أعدادها . والمحافظة على الصلوات الخمس يعنى المواظبة على فعلها ودعم تركها . قال تعالى : « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** »(٣) . والإنسان الذى يداوم على أداء الصلوات الخمس لا يهلع ولا يجزع . قال تعالى : « **إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جذوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين الذين هم على صلواتهم دائمون** »(٤) . والصلاة مناجاة من العبد لربه فإذا واظب المصلى على هذه المناجاة خمس مرات فى اليو موالية تيقظت قواه الروحية وأحس أن الله يمده بالقوة والعون ، وأنه سبحانه وتعالى معه لا يتخلى عنه فتقوى عزيمته ، وتشتد إرادته ، ويمضى إلى غايته دون تردد أو ضعف مهما اعترضته الصعاب العقوبات . والمحافظة على الصلوات تعنى أيضا المبادرة إليها أوائل وقتها وإتمام ركوعها وسجودها . فعن عبد الله قال : سألت النبى ﷺ أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها قال : ثم أى قال : ثم بر الوالدين قال : ثم أى ، قال الجهاد فى سبيل الله . قال : حدثنى بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادنى(٥) .

---

(١) البذور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة : ص ٢١٧ ، ويعنى بالأخوين : حمزة والكسائى .
(٢) فتح القدير ٤٧٤/٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٨ .
(٤) سورة المعارج آيات : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .
(٥) عمدة القارىء : ١٣/٥ ـ باب فضل الصلاة لوقتها ، حديث رقم ٦ .

٧ ــ الجـزاء الأوفى

قال تعـالى : (**أولئـك هم الوارثون • الذين يرثون الفـردوس هم فيهـا خـالدون**) •

اسم الإشـارة فى قوله (أولئـك) يعود إلى المؤمنـين المتصفين بهذه الصفات أى (**أولئـك هم الوارثون**) الأحقـاء بأن يسموا بهذا الاسم دون غيرهم • ثم بين الموروث بقوله : (**الذين يرثـون الفـردوس**) • والفردوس : ربوة الجنـة وأوسطها وأفضلها • عن عطـاء بن يسـار أن معـاذ بن جبـل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الجنـة مـائة درجة كل درجـة منهـا ما بين السـماء والأرض • وإن أعـلاها الفـردوس • وإن أوسطها الفـردوس • وإن العـرش على الفـردوس • منهـا تفجـر أنهـار الجنـة • فـإذا سـألتم الله فسـلوه الفـردوس** »(١) • ولفظـة الفـردوس فيما قال مجاهد : رومية عـربت • وقيل : هى فارسية عربت ، وقيـل : حبشية ، وإن ثبت ذلك فهو وفـاق بين اللغـات • وقال الضحاك : هو عـربى وهو الكرم والعـرب تقول للكروم فـراديس(٢) • وجمـلة (**هـ مفيهـا خـالدون**) فى محـل نصب على الحال المقدرة • أو مستأنفة لا محـل لهـا ، ومعنى الخـلود أنهم يدومون فيهـا لا يخرجون منهـا ولا يموتون فيهـا ، وتأنيث الضمير مع أنه راجـع إلى الفـردوس لأنه بمعنى الجنـة(٣) • قال مجاهد : ما من عبد إلا وله منزلان منزل فى الجنـة ومنزل فى النـار فأما المؤمن فيبنى بيتـه الذى فى الجنة ويهدم بيتـه الذى فى النـار • وأما الـكافر فيهدم بيتـه الذى فى الجنة ويبنى بيتـه الذى فى النـار • عن أنس بن مالك قال : قال نبى الله ﷺ : إن

---

(١) سنن ابن ماجه ، ٣٧ ــ كتاب الزهد ، باب ٣٩ ، ح رقم ٤٣٣١ •
(٢) تفسير القرطبى ١٠٨/١٢ •
(٣) فتح القدير ٤٧٥/٣ •

العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة(٤) .

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار ، لأنهم خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل . قال تعالى : « **تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان نقيا** »(٥) ، وقال تعالى : « **وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون** »(٦) .

★ ★ ★

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٣/١٧ ـ عرض مقعد الميت عليه .
(٦) سورة مريم آية : ٦٣ .
(٧) سورة الزخرف آية : ٧٢ .

نتـــائج البحـث

١ ـ الخشـوع فى الصـلاة : استشعار قلوب المؤمنين رهبـة الموقف بين يدى الله عـز وجل ويظهـر أثر ذلك على الجوارح فتخشع وتسكن .

٢ ـ الإعـراض عن اللغو : صيانة لوقت المؤمن من الضـياع عبثا فرأسماله وقتـه . هـذا وليس من اللغـو التفـريج بشىء من اللعب العفيف ذى الفـائدة النافعة للعقـل والجسم .

٣ ـ المؤمـن سـخى بمـاله يخـرج الـزكاة : ويتصـدق على الفقـراء والمحتاجين طهارة لمـاله ونماء له ، ورعـاية لحق الفقير والمحتاج .

٤ ـ صـيانة الفـروج عن الحـرام صيانة للأنساب أن تختلط : وللحرمات أن تتدنس ، وطهارة للروح من الشعور بالإثم . وهنـاك من الحلال ما يسـع ضرورة المسلم ويحفظ المجتمع ، هناك الزواج المشروع ، والأسرة المبـاركة ، حيث المسـكن ، والمودة كما أن هنـاك حـق الاستمتاع بملك اليمين فى حدود ما شرع الله .

٥ ـ أداء الأمـانات ورعـاية العهد يشمل جميـع التكاليف الشرعية ، وأيام العمـر ، وكل نعمـة استودعنا الله إياها .

٦ ـ أهميـة الصـلاة فى حياة الأفـراد والمجتمعات : فصفات المؤمنين فى الآيات السـابقة بدئت بالصـلاة ، وختمت بها تنويها بهـا ، وإشـادة بفضلها .

٧ ـ لمـا كان المؤمن لا يحصـل على ثمار سعيه وجـزاء عمـله كاملا فى دار الدنيـا كا ن له إرث الفـردوس الأعلى فى الآخـرة . وتلك غاية الفـلاح الذى يستحقه المؤمن .

تم بحمد الله نسـأل الله العلى القـدير أن يجعلنـا من المؤمنين الذين يرثون الفـردوس . وصلى الله عللى سـيدنا محمـد وعلى آلـه وصحبه وسـلم .

المحمـدى عبد الرحمـن
أستـاذ التفسير المسـاعد
بقسم أصـول الدين
كلية الدراسات الاسلامية والعربية